

حدود الكنيسة

نقاش مختصر حول هرطقات

إكليريولوجية معاصرة

نيقولائوس مانيس¹

"إن كنيسة المسيح هي مجموعة من أناس اعتمدوا بإسم الآب
والإبن والروح القدس، وهم متحدين مع بعضهم البعض
بالإعتراف بإيمان واحد ومن خلال الشركة والمشاركة في الأسرار،
تحت حماية أساقفة قانونيين وأصيلين الذين يعترفون برئيسهم
الوحيد والأوحد ربنا يسوع المسيح"

ملاطيوس (متروس)، متروبوليت أثينا (+١٧١٤)

تنقسم الهرطقات التي هي تعاليم تشوّه حقيقة الأرثوذكسية إلى فئتين، كل منها حسب مصدرها. فيمكنها أن تنشأ وتُروّج إمّا من قبل أناس ينتمون إلى مجموعات قد سبق وفُصلت عن الكنيسة (مثلاً أولئك الذين يعتنقون بدع الغنوسطين والحيلياستيين إلخ)، أو من قبل أناس يوجدون ضمن حضان الكنيسة وهم كهنة بالدرجة الأولى²، ويسوّقون لهذه الهرطقات وكأنها

¹ يتميز السيد مانيس، و هو أستاذ و كاتب ديني بارع من اليونان، بموهبته و عمق معرفته في تعاليم الكنيسة اللاهوتية و الإكليريولوجية. هو يمارس التعليم في أثينا حيث يقطن مع زوجته وأولاده، وجميعهم نشطة في حياة الكنيسة الأرثوذكسية الأصيلة (ذات التقويم القديم) في اليونان.

² يشير القديس ملاطيوس المعترف الذي من جبل غاليسيون [١٢٠٩-١٢٨٦] أن الرعاة [أي الأساقفة] هم مسؤولون عن الهرطقات و كل أنواع الشرور. [هذه الإشارة هي ليست بأي شكل من الأشكال إعتداء على مفهوم الرقابة الكاريزمية للأساقفة على الكنيسة، بل تعالج سوء إستعمالها - المترجم الأول].

مواقف أرثوذكسية (على سبيل المثال، بهذه الطريقة تم في البداية إنطلاق هرطقات الأريوسية والنسطورية والمونوفيزيتية).

لقد قمت في هذا المقال بتحديد مختصر لهرطقات إكليزيولوجية معاصرة تنتمي إلى الفئة الثانية التي هي، كما يمكن للمرء أن يتفهّم، الأكثر خطورة، وذلك لأنه بصرف النظر عن التشويش على المعتقد الأرثوذكسي التي يتسبب به الترويج لهذه الهرطقات، هناك أيضاً خطر إرتداد جزء من خراف الكنيسة والتسبب بإنشقاقات جديدة. على سبيل المثال، علينا فقط أن نتذكر الخسائر التي ألحقتها المونوفيزيتية على الكنيسة الأرثوذكسية نتيجة الفئات الهرطوقية والشقاقية - ما يسمى بالكنايس الما-قبل-خليدونية - التي ولّدتها: تلك التي للأقباط والأثيوبيين والأرمن والهنود وغيرهم من إخوتنا الأرثوذكسيين سابقاً التي سلبتهم من خلال معتقداتها الخاطئة.

وبينما في الماضي كانت هذه الهرطقات ثالوثية أو خريستولوجية (أي، كانت تختص بعقيدة الثالوث القدوس وبشخص ربنا يسوع المسيح)، هي اليوم إكليزيولوجية، أي تختص بكنيسة المسيح وحدودها. من بين تلك الهرطقات الرئيسية لدينا المسكونية، كما تلك الهرطقات التي وُلدت نتيجةها أو تشكلت جنباً إلى جنب معها³: الماثيوية، التركيز على الأسقفية، والسرجيانية. سوف أتكلم عن كل هذه توأ.

³ تجدر الإشارة هنا أن المسكونية تذكرنا بالأريوسية، و ذلك من حيث الإضطراب التي أثارته في الكنيسة. فالأريوسية استمرت لعدة سنوات و تسببت بهرطقات أخرى، حتى بتلك المعادية لها ظاهرياً [الأبولينارية، اللوسيفيرية، البنيفماتوماخي (معاداة الروح القدس)، وغيرها]. وكان الإضطراب التي سببته الأريوسية أحياناً حربي تماماً، يغذيه الإنفعال المتطرف والنداء للمشاعر الشعبية، كما هي الحال في المسكونية اليوم التي تتميز بعرض للحماس الديني نراه أحياناً من خلال المهرجانات الموسيقية والرقص الليتورجي والإحتفال بطقوس وثنية، إلخ - المترجم الأول.

المسكونية: توسيع نطاق الحدود

لقد كُتِبَ عدد كبير من المقالات المثقفة عن المسكونية، وأدينت تعاليمها كهرطوقية من قِبَلِ آباء وأساتذة معاصرين ومجامع (مثلاً مجمع الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في المهجر عام ١٩٨٣ [و مجمع الكنيسة الأرثوذكسية الأصلية في اليونان عام ١٩٩٨ - المترجم]).

تتميز المسكونية بأنها تنتمي لكِلا الفئتين المذكورتين. بمعنى آخر، هي هرطقة سبق لها وما زالت تُرَوِّج سويّاً من أناس ينتمون لجماعات هي خارج الكنيسة الأرثوذكسية (مسكونية البروتستانت والكتلكة الرومية) وأناس يوجدون بشكل رسمي ضمن الكنيسة (أرثوذكسيون مسكونيون).

هذه الهرطقة توسّع نطاق حدود الكنيسة التي بشكل تقديري تتكون من الكنيسة الغربية والشرقية (الأصلية تاريخياً) (نظرية الرئتين)، وشم "جميع الكنائس" بمثابة أغصان لها (نظرية الأغصان)، إذا لم نتكلم عن مجموع كل من "المعمدين" والمرشوشين (لاهوت المعمودية)، بينما الأكثر تطرفاً من هواتها يضمّون حتى أولئك الذين من الديانات الأخرى وليس بالضرورة عبدة الإله الواحد.

لقد دُعيت المسكونية بالهرطقة الشاملة تحديداً نتيجة توسيع حدود الكنيسة هذا [الذي يصرف النظر عن الإيمان والعقيدة بمثابة أمور ثانوية تعيق الوحدة!]، وذلك لأنها تمنح الشرعية لجميع الهرطقات. تقاربها الإيديولوجي مع الماسونية الحرّة هو أمر واضح: فالنصيرين الأرثوذكسيين الأعظمين لهذه الهرطقة (البطريكين ملاتيوس ميتاكساكيس وأثيناغوراس سبيرو) كانا ماسونيين من أعلى درجة.

بضمّمهم المتهورّ هذا إلى فلك الكنيسة أولئك الذين بإرادتهم فصلوا أنفسهم عنها أو الذين يرفضون الإنخراط إليها، يقدّم المسكونيون صورة عن إله غير عادل لا يحترم إستقلالية مخلوقاته ويحرم الإنسان من الهبة الرئيسية الذي منحه إياها، وهي الإرادة الحرة، وهم يجذّفون حين يعتبرون أنفسهم وكأنهم أكثر إحساناً من الله.

الماثوية: تقليص نطاق الحدود

في القطب المعاكس للهراطقة المسكونية لدينا هرطقة إكليريولوجية تقوم على تضيق نطاق حدود الكنيسة. نشخص هذه الهرطقة بالماثوية⁴، وذلك لأن ماثيو (كارباتاكيس) أسقف فريستينا كان أول نصيريه ورائدها. ولكن نصيريه ليسوا فقط (أو بالضرورة) ماثويين (وبالطبعي نحن لسنا نتكلم عن المؤمنين البسطاء الذين يتبعون قادتهم نتيجة غيرة بريئة) بل أيضاً غير-ماثويين (على سبيل المثال، في الماضي، الأم مجدلينا الراهبة⁵).

إن الصفة الرئيسية لهذه الهرطقة التي نشأت ضمن صفوف ذوي التقويم القديم هي النظرية المختصة بالفصل التلقائي من الكنيسة لجميع الخطأة (إن كانوا مجرد مؤمن بسيط أو مجمع كنيسة محلية بأكملها) وعدم-ضرورة حكم مجمعي يختص بالخطأ. فهكذا، حسب ماثيو وبفضل ابتكار التقويم عام ١٩٢٤، أصبحت كل من "الكنائس التي قبلت بهذا الإبتكار في حالة إنشقاق"⁶

⁴ يمكن لهذه الهرطقة أن توصف أيضاً بـ "الغيرة المتطرفة". والأب الراحل سيرافيم روز الذي من دير بلاتينا يدعوها بـ "الصحة المفرطة"، [وهي عبارة اخذها من المتربوليت الراحل كيريانوس أوروبوس و فيلي-المترجم الأول].

⁵ رئيسة دير الصعود في كوزاني اليونان (٢٠٠٦+). وهي جمره رهبانية يونانية من القرن العشرين كتبت عدة مقالات قدح وذم شهيرة، ومنها إدانة تحقر بالقدّيس نكتاريوس إجينا.

⁶ رسالة ماثيو فريستينا (٢١ أيلول، ١٩٤٤): كلمة "إنشقاق" هنا تُفهم وأنها تعني "إنشقاق فعلي"، أي سبق وفُصل عن كنيسة المسيح، وليس "إنشقاق فرضي" كما رأى القديس خريستوموس الجديد، أي يستوجب محاكمة من قبل مجمع كنسي كبير و مؤهل لتسببه بالإنشقاق.

كما "تلك الكنائس المحلية التي تحتفل وتصلّي عموماً مع الكنائس المبتكرة."⁷ بالفعل، اعتُبرت هذه النظرية المختصة بالفصل الأوتوماتيكي من الكنيسة بمثابة شرط لا غنى عنه وله قوة عقيدة (وهم أعطوه إسم "الإعتراف الأرثوذكسي")، ونتيجة ذلك اعتُبر كل أولئك الذين لم يقبلوا بها غير-أرثوذكسيين، واعتبر المتمسكين بها أن إخوتهم من ذوي التقويم القديم الذين رفضوها هم "خارج الكنيسة"، منددين بهم رسمياً عام ١٩٣٧، مسببين بذلك بانشقاق الماثيوين الشهير! إن الإيمان بهذه النظرية الهرطوقية المختصة بالفصل التلقائي من الكنيسة يؤدي إلى تقليص لا سابق له لحدودها، كما أشير إلى ذلك في مقالة وثيقة الصلة بهذا الموضوع.⁸

بفصلهم العشوائي هذا من فلك الكنيسة الخلاصي جميع أولئك الذين حسب رأيهم قد سقطوا في هرطقة معينة، صحيحة كانت أو وهمية⁹، يقدم الماثيويون صورة عن إله غير عادل فشل فعلياً في عمله الخلاصي (وكلاً لهذا التجديف!)، وذلك لأن الماثيوية، نتيجة فصولاتها التلقائية الغير مبررة، تعتبر بمثابة منبذين من الكنيسة عدد كبير من المؤمنين هم ليسوا على يقين بالإنحرافات الإكليزولوجية المتعددة، إما لأنهم تابوا في الساعة التاسعة أو الحادية عشرة، أو بسبب الأمية أو افتقارهم للقدره التفكيرية، أو أخيراً نتيجة ظروف السن (مثلاً، دون سن الثامنة عشر [سن الموافقة المستقلة]، وبالتالي هم عملياً غير قادرين على فهم ما يجري في الكنيسة لكي تقع عليهم طائلة المسؤولية. لهذا السبب يصبح التشخيص والحكم الجمعي أمراً إلزامياً، لكي يستطيع الجميع أن يعرفوا من هم الهرطقة ومن هم الذين يسبون بالإنشقاقات.¹⁰

⁷ المرجع السابق

⁸ رفض القرار الجمعي هو خطأ يؤدي إلى مازق. http://kruf0-sxoleio.blogspot.gr/2016/03/blog-post_4.html

⁹ لكي يبرزوا الإنشقاقات الجديدة التي حصلت في صفوفهم، اخترع الماثيويون بدع "إضطهاد الأيقونات الجديد (نيو-أيقونوكلاسم)" و "معادة المسيح (خريستوماخي)" و "معادة الكنيسة (إكليسيوماخي)" وغيرها من "الهرطقات".

¹⁰ حالياً يوجد في اليونان وفي العالم أجمع جماعات كنسية [ولو كان عددها قليل (وليس بالضرورة يصفون أنفسهم ماثيوين] ممسوسة بأسس هذه الهرطقة، وهم يدعون أنهم هم الكنيسة، وهذه حقيقة تشير بوضوح أن هذا المنظار هو هرطوقي وينبع من الكبرياء المتستر بالغيرة.

من ضمن أناس آخرين، كتب القديس خريستوموس (كابوريدس) متروبوليت فلورينا السابق ضد الماثوية.

التركيز على الأسقفية: نقل الحدود

يُعتبر الأب إيفانيوس ثيودوروبولوس المروج الرئيسي لهرطقة التركيز على الأسقفية¹¹، وهي بدعة نشأت كردة فعل على الماثوية [التي تسميها بـ "الغيرة"، بما في ذلك من تعاليم أخرى هي صحيحة بالكامل، كالإبتعاد عن الهرطقة الغير-مدانين]. سوياً مع المسكونية التي تقدم لها خدمة صرفة، هي أخطر هرطقة إكليريولوجية في عصرنا.

هذه الهرطقة تنقل حدود الكنيسة من حقيقة الإيمان إلى الأشخاص الذين ينشرونه (أي الأساقفة)، معتبرين أن برهان وجود المرء "ضمن الكنيسة" هو عندما يكون في سائر الأوقات في شركة مع أولئك الذين في السلطة، حتى ولو كانوا هرطقة، ولكن على أساس أنهم لم يتم فصلهم رسمياً عن جسد الكنيسة. هذه الهرطقة الإكليريولوجية تناقض تماماً تعاليم الكنيسة كما تنص عليها المجامع والآباء القديسين، كما تناقض أيضاً تصرف أولئك الآباء وجميع الأرثوذكسين حين كانت الهرطقة تظهر في أحضان الكنيسة.

¹¹ تُفضل عبارة "التركيز على الأسقفية" (حكم إستبدادي من قبل أساقفة أو أسياذ الكنيسة) على عبارة "الإيفانية" لأنها تطورت اليوم من خلال تعاليم يوحنا (زيبولاس)، متروبوليت بيرغامون (بطريركية القسطنطينية) الذي هو الآن نصيرها الأول. من خلال كتاباته، خدم الأب إيفانيوس وخدم هذه الهرطقة جيداً، خصوصاً من خلال نظريته المختصة بالضباط والجنود في الكنيسة، حيث يحرم الآخرين من حقهم الغير قابل للجدل في المقاومة والمعارضة حين يكون الإيمان في مأزق، وأيضاً من خلال رأيه التجديفي والمدمر عن القانون الخامس عشر من المجمع الأول-الثاني. و لكن، إنه المتروبوليت يوحنا الذي رفع الصلاحية الإدارية للأسقف على شؤون الكنيسة إلى "عقيدة العقائد"، و ذلك بالتوافق مع نموذج القوة المرتكزة على البابوية (وآخر مثال على ذلك تصرف متروبوليت فلورينا ثيوكليتوس تجاه الأب بايسيوس بابادوبولوس). [الكاتب هنا هو لا يشك بالسلطة الأسقفية السليمة وإشرافها على الكنيسة، لكنه بالأحرى يقارن "الإيفانية" و "التركيز على الأسقفية" مع الميزة الكاريزمية التي تعطي القوة للأسقف والسيد الأصيل.

يعتبر القديسين أن دليل وجود المرء داخل الكنيسة يكون مبدئياً من خلال حقيقة إيمانه¹²، أي أرثوذكسية اعترافه¹³. وبالتالي إن الأرثوذكسيين الذين يقطعون الشركة مع هؤلاء الذين في السلطة حين يقعون في الهرطقة هم لا يعتبرون أنفسهم بأي شكل من الأشكال، وهم أبداً لم يُعتبروا بأنهم، "خارج الكنيسة"¹⁴.

إن هذا التعليم المجهول الذي يقوم على الشركة مع أساقفة هراطقة غير-مدانين ينسف بأكمله الجهاد الأرثوذكسي الذي دائماً كان يسبق الإدانة المجمعية للهرطقة، هذا الجهاد الذي أنقذ الكنيسة من الإنقسامات والإنشقاقات التي ألحقها الهرطقة في كنفها.¹⁵

للأسف، لقد أصابت هذه الهرطقة بالعجز عدداً كبيراً من أولئك الذين من جميع النواحي الأخرى هم لديهم عقلية أرثوذكسية، ولكنهم لمدى عقود لم يتجرأوا على القيام بما هو بديهي (أي قطع الشركة الكنسية مع هؤلاء الذين يبشرون بالهرطقة) خوفاً من أن يجدوا أنفسهم "خارج الكنيسة".¹⁶

لقد كتب أحد أباء الكنيسة المعاصرين الدائم ذكره ثيودوريتس (مافروس) أعمالاً تسلط الضوء على هذه الهرطقة.

¹² "أولئك الذين ينتمون إلى كنيسة المسيح ينتمون إلى الحقيقة؛ أولئك الذين لا ينتمون إلى الحقيقة لا ينتمون إلى كنيسة المسيح، وحتى لو تكلموا عن أنفسهم زوراً ونعتوا أنفسهم وبعضهم البعض بالكهنة والأساقفة القديسين. فنحن مترشّخين بأن المسيحية لا تتميز بالأشخاص بل بالحقيقة والضبط العقائدي." (القديس غريغوريوس بالاماس، "تفنيد رسالة إغناطيوس بطريرك أنطاكية"، في بانايوتيس ك. خريستو (المحرر) "أعمال غريغوريوس بالاماس" المجلد الثاني [تسالونيكى، 1966]، ص. 627.

¹³ "المسيح نعت] الكنيسة الجامعة بالإيمان الصحيح والمخلص بإسمه" (القديس مكسيموس المعترف، موسوعة الآباء اليونانيين، المجلد 90، عامود 1932).

¹⁴ "مثال على ذلك "اتباع أفيسطاثيوس" في عهد أساقفة أنطاكية الأريوسيين، الأرثوذكسيون في زمن نسطوريوس القسطنطيني، القديس مكسيموس المعترف والذين معه في زمن بدعة المشيئة الواحدة، محبو الأيقونات في حقبة اضطهاد الأيقونات، معارضو الوحدة في زمن مجامع ليون وفيرارا-فلورنسا المزورة، والذين معهم.

¹⁵ لهذا السبب بالذات بمدح القانون الخامس عشر من المجمع الأول-الثاني أولئك الذين عزلوا أنفسهم عن الأساقفة المزيّفون الهرطقة، "لأنهم كانوا مواطنون على إنقاذ الكنيسة من الإنشقاقات والإنقسامات."

¹⁶ إضافة إلى ذلك، هذه البدعة أصابت جزءاً من الأرثوذكسيين الذين عزلوا أنفسهم حديثاً عن المسكونية، الذين يعتقدون أن الجهاد في وجه الهرطقات يقف فقط عند الإنعزال [أي قطع الشركة الإفخارستية والكنسية - المترجم] وأن أي خطوة أخرى مثل شرطة أساقفة مستقبلي الرأي تؤدي إلى "إنشقاق" أو "تأسيس كنيسة جديدة"، وبالتالي هم يقبلون "قانونية" أساقفة سقطوا في الهرطقة وهم سبقوا وعزلوا أنفسهم عنهم!

السرجية: تشويه الحدود

"السرجية" هي عبارة جديدة صاغها المعترف الروسي المعاصر بوريس تالانتوف¹⁷. هذه البدعة (التي أخذت إسمها من بطريك روسيا سرجيوس [ستراغورودسكي] الذي خضع عام ١٩٢٧ لنظام الإتحاد السوفياتي الملحد)، تُشوّه حدود الكنيسة عملياً من خلال رفض اعتراف شجاع بالأرثوذكسية. فهي تستخدم إجراءات خداعة مُحجّة وسيلة لحماية الكنيسة، أي هيكلتها الإدارية الظاهرة.¹⁸

وهكذا، أصبح يوجد عندنا بالشكل كنيسة محلية معترف بها بأنها رسمية من قبل نظام فدائي معادي-للكنيسة تنتمي إليه، لكنها بالجوهر لا تشكل جزءاً من كنيسة المسيح لأنها لا تعترف بحقيقة الإيمان بل تقبل وتخدم الكذب والخطأ وفوضى الدولة المعادية-للمسيحية.

وبالرغم من أن السرجية وُلدت في بلدان كانت في زمن ما شيوعية، هي تبقى هرطقة تشوّه الكنيسة حتى في يومنا هذا، وذلك في الدول الماتسمى بالرأسمالية الليبرالية-الحديثة حيث تبقى الكنائس المحلية، نتيجة اعترافها بالدول الملحدة (بمثابة أجسام شرعية بموجب القانون المدني¹⁹)، صامتة في وجه إقرار قوانين تتزايد في عدائها-للمسيحية (تشريع الخيانة الزوجية، الإجهاض، الإقتانات المدنية لمضاجعي الذكور، التربية الملحدة، قيود "ضد التمييز"، الرقابة

¹⁷ رقد عام ١٩٧١ في سجن-مستشفى في الإتحاد السوفياتي نتيجة سوء المعاملة.

¹⁸ و بالتالي واضحة هي الصلة بين التركيز-على-الأسقفية و السرجية

¹⁹ كتب بوليكروس (ليوسيس) متروبوليت سيانيسا (+١٩٩٦) متنبأ أن الكنيسة الرسمية، بفضل ميثاقها الدستوري و تغيير هيئتها إلى جسم شرعي بموجب القانون المدني(١٩٦٩)،

"قطعت بشكل رسمي و حاسم رأس الكنيسة الذي هو المسيح و وضعت مكانه قانون الدولة الذي، كونه يرأس "كنيسة اليونان" كجسم شرعي، سيقود الكنيسة من الآن فصاعداً

إلى أي إتجاه تراه مناسباً، حتى إلى إنحلالها." (بوليكروس ليوسيس، متروبوليت سيانيسا و سيانيسا. "كنيسة المسيح هي مؤسسة إلمية وليست جسم شرعي بموجب القانون المدني")

[أثينا، ١٩٦٩]، ص. ٣٧.

الإلكترونية، إلخ)، وذلك خوفاً من أنه إذا كانت لها ردة فعل، سوف يتوقف الاعتراف بها وتنقطع عنها الإمتيازات المعطاة لها.

في إعلان كنسي مهم لكنيسة المسيحيين الأرثوذكسين الأصليين في اليونان الحرة وال (ما زالت) حية، نجد إشارة دقيقة أن السرجيانية "التي منذ زمن طويل أسست في باطنها روح دنيوي وتجرد من المبادئ وخذاع واستسلام ذليل باثولوجي (أي حالة مَرَضِيَّة) لأقوياء هذا العالم، هي لا تزال تخون الكنيسة، ليس خوفاً الآن من إنتقام الحكام الملحدين ولكن من أجل خدمة مصالح ذاتية ودوافع علمانية وكل ذلك تحت غطاء ما يدعونه بالقانونية؛ وهي لا تزال تتاجر بـجُرية الكنيسة مقابل صداقة أقوياء هذا العالم، مع كل ما يصاحب ذلك من منافع مادية ووضع إجتماعي مرموق بالتأكيد." ²⁰

يتوجب من مجمع كبير عتيد وأصيل للأرثوذكسيين (سوف يدين مجمع كريت المزور) إدانة التعاليم المذكورة أعلاه، وذلك لحماية خراف الكنيسة من معلّمون كذبة قاموا بنشر بدع خبيثة. ²¹

²⁰ "The True Orthodox Church and the Heresy of Ecumenism: Dogmatic and Canonical Issues" <http://hsir.org/p/be>

²¹ أنظر رسالة القديس بطرس الرسول الثانية ٢:١